محاضرة: نظرية نقد الاستشراق عند إدوارد سعيد.

انفتح النقد الثقافي على الدراسات ما بعد الكولونيالية ليستمد منها مقولات ورؤى ثقافية جديدة فيما تعلق بعلاقة الأنا بالآخر التي تمثل أهم مرتكزات الدراسات ما بعد الكولونيالية المستندة في ذلك على ما تقدمه تيارات ما بعد الحداثة كالمقاربة الثقافية، والمقاربة الماركسية, والمقاربة التاريخانية الجديدة، والمقاربة السياسية، كل ذلك من أجل فهم العلاقة التفاعلية بين الأنا والآخر, هل هي علاقة جدلية سلبية قائمة على العدوان والصراع أم هي علاقة إيجابية قائمة على الأخوة والصداقة والتعايش والتسامح.ومن مفرزات هذه العلاقة مقولات ومفاهيم، من مثل: الاستشراق، العنصرية، العرقية، الإمبريالية، الهوية، التهجين، الهيمنة، المقاومة الثقافية، المركزوالهامش والآخر، وما لها من فاعلية في الثقافة والأدب معا.

يعد إدوارد سعيد من أوائل الذين انشغلوا بنقد الاستشراق ودراسة وكشف النظرات الأوروبية والأمريكية المشوهة للمجتمعات العربية، من خلال مؤلفاته أبرزها الاستشراق الصادر عام 1978، وإذا ما تعلق الأمر بالأنا/ الغرب/المستعمر، والآخر، المشرق/ المستعمر، يرى سعيد أن " جميع تمثيلات المشرق المقدمة من قبل الغرب تشكل جهدا دؤوبا يهدف إلى الهيمنة والإخضاع، وبحسبه فإن الاستشراق كان مدخلا للاستعمار الأوروبي في منطقة الشرق، بفعل من الأكاديميين في فروع المعرفة والأدب الذين وظفوا فكرة الشرق وأفريقيا المظلمة بوصفها مواقع للخصائص السالبة والمتماثلة، من أجل التعزيز الإيجابي كما يبدوان في فكرة أوروبا".

ويعرف إدوارد سعيد الاستشراق بأنه أسلوب من الفكر قائم على تمييز أنطولوجي"انتقائي" وإبستمولوجي" معرفي" بين الشرق وفي أغلب الأحيان الغرب، الذي استطاع به دراسة الشرق وإعادة إنتاجه سياسيا واجتماعيا وعسكريا وعقائديا وعلميا وتخيليا في مرحلة ما بعد عصر التنوير. ويؤكد أن الاستشراق يمكن أن يناقش، ويحلل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، التعامل معه بإصدار تقريرات حوله وإجازة الآراء فيه وإقرارها، وبوصفه، وتدريسه، والاستقرار فيه وحكمه، وبإيجاز، الاستشراق أسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبنائه، وامتلاك السيادة عليه.

الاستشراق لم يقصد من المعرفة ذاتها، وإنما لتحقيق مقاصد أخرى بعيدة الأفق، فإلى جانب فبركة وتلفيق صورة الآخر المدروس، يهدف إلى الهيمنة وفق ما أصبح يعرف ب: المعرفة تنتج القوة، حيث ينقلب في لحظة من اللحظات التاريخية، إلى أداة من أدوات التحكم بهذا الآخر ووسيلة من وسائل تجييش المتخيل ضده.